عصمة الملائكـــة - رؤية عقدية

د. بشار شعلان عمر النعيمي(*)

ملخص البحث

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان بالله تعالى، فمن آمن بالله تعالى يتحتم عليه الإيمان بالملائكة وبكل ما ورد به الدليل عنهم من القرآن الكريم أو هدي النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ولقد اختلفت عقائد الناس في إثبات وجود الملائكة وفق الآتي:

إن الناس المتبعون للأنبياء آمنوا بالملائكة بناءً على إيمانهم بالأنبياء والرسل، وغير المتبعين للأنبياء اختلفوا في الملائكة: فمنهم من لم يتعرض للملائكة بنفي أو إثبات، ومنهم من أثبت وجود الملائكة، لكنهم اختلفوا في طريقة إثباتهم للملائكة، فالروحانيون أثبتوا وجودهم عن طريق المكاشفات والمشاهدات، والفلاسفة أثبتوا وجودهم عن طريق القسمة العقلية.

ومن المعلوم ضرورة أن للملائكة ألقابا عديدة، وهذه الألقاب تمثل بعض أصناف الملائكة وصفاتهم ووظائفهم، فمثال الألقاب التي تمثل صنفها: الرّوح الأمين، حملة العرش وغير ذلك، ومثال الألقاب التي تمثل صفاتهم: الرّوحانيّون، الصافات، وغير ذلك، وأما الألقاب التي تمثل بعض وظائفهم منها: الحفظة، الزبانية، وغير ذلك.

ومما لابد من العلم به أن الملائكة مخلوقة كسائر المخلوقات، فهي لها حياة كباقي الأحياء وإن اختلفت أسباب حياتها وبقائها، إذ أنها لا تعتمد في حياتها على الأسباب المادية من الغذاء والشراب وغير ذلك من أسباب بقاء الكائنات الحية، والله تعالى أعلم بذلك، لكن الذي ينبغي علمه أن حياة الملائكـة لها نهاية مهما طـــال أمدها، وأن مآلـــهم يختلف عن مآل الجنّ والإنس، فهم

(*) مدرس في قسم العقيدة والفكر الاسلامي/ كلية العلوم الاسلامية / جامعة الموصل .

إما لا يحاسبون مطلقاً لعدم تكليفهم، أو أن لهم ألواناً خاصاً من التنعم في الجنان وفق علم الله تعالى.

فيما يتعلق بعصمة الملائكة، أثبت البحث ثبوت عصمتهم (عليهم السلام) عصمة تامة، ولم يثبت بأي طريق وقوع الذنب منهم بأي شكل كان، وقد دل على ذلك الآيات البينات القاطعات، وليس هناك ما يخالف ذلك سوى شبه ضعيفة أوردها المشككون في عصمة الملائكة، وكلها منتقضة بالأدلة والحجج.

Dr.bashar shalain omar .

ABSTRACT

Faith in Angels is a corner of Pillar,s faith in Almighty, one who beliewho believe in Almighty must believe in Angels that is mentioned Holy in Qur,an and byprophet Mohammed (peace be upon him).

The People,s ideologies differed to Prove the existence of the Angels as follow People who follow the Prophets believe in Angels and onesewho not follow the Prophets differ if they are Angels or not Spiritualists prove the existence of the Angles by dectors and the Philosophers prove by brain.

As you know the Angels have many surnames and these represent the types of angels, their features and their fiction for example the faithful spirit, the Angels bearing the Throne and the Surnames that represent their features as the ranged rank and the surnames represent their fiction as the Angels, who keep the person.

What must you know is that the Angles are creatures as any creatures that they have life but their Lives are different . They do not eat or drink Like us and Almighty know about them also their Lives will end but their end differ from the Man and jinns Either they do not Punish because they haven,tSins or they go to Paradise without any punishment.

As they are Malacca they have n,t any guilt completely as it prove in holy Quran but the people with weak spirit doubt about Malacca, but they have no any proof or guide.

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين ..وصحبه الغر الميامين ..

وبعد .. فإن من تمام نعمة الله على عباده المسلمين أن أرشدهم إلى كل طريق قويم وصراط مستقيم، فأبان لهم الحق جلياً واضحاً وضوح الشمس في كبد السماء الصافية، وسهل لهم طريق الوصول إلى سبيل الحق بما أقامه لهم من حجج في الدين تضمنها القرآن الكريم وهدي النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فبيّن لهم ذلك تبياناً لا يخالطه الباطل، وكان في مقدمة ذلك مسائل الاعتقاد التي جاءنا بها الإسلام، ونقلت إلينا نقلاً متواتراً قطعياً في جميع قضايا هذا العلم الشريف، وألزمنا الله تعالى بالإيمان إيماناً تاماً بكل ما جاء به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي أوضح لنا أن أركان الإيمان ستة: وهي الإيمان بالله تعالى، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وأمرنا بالإيمان بها إيماناً جازماً، لا مساغ للظنون والشكوك فيه، وكان من هذه الأركان آنفة الذكر الإيمان بالملائكة الكرام البررة، الذين جعلهم الله تعالى قائمين على شؤون أمره وخلقه، وقد كُتب في بيان صفاتهم وأصنافهم ووظائفهم العدد الكبير جداً من المؤلفات العقدية، بيد أنني لم أجد بين هذه الكتب مباحث تفصيلية تعنى بقضية مهمة وهي (عصمة الملائكة)، فكتب العقيدة تذكر بعض ما يتعلق بهذا العنوان على تنوع واختلاف، فجاء هذا البحث ليقدم دراسة شاملة لموضوع عصمة الملائكة بإيجاز غير مخل بجوانب هذا الموضوع الجليل.

وقد سلكت في هذا البحث مسلك التنوع في المصادر والمراجع ما بين اللغوية منها والعقدية والتفسيرية حسب متطلبات المدخلات العلمية لمكونات البحث، ولم أُقدم فيه على الطريقة المعروفة في بيان الأدلة التفصيلية واختيار رأي منها دون آخر، لكني نحوت فيه منحى التوفيق ما أمكن بين الآراء، واختيار قول جامع شامل لجميع الأقوال ما أمكنني السبيل إلى ذلك.

هذا وقد تألف البحث من مقدمة ومبحثين وخمسة مطالب وفق الآتي:

المبحث الأول: تكلمت فيه على حقيقة الملائكة وألقابهم ومآلهم، وتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوضحت فيه ماهية الملائكة في اللغة والاصطلاح، ثم ذكرت فيه عقيدة الناس عموماً بالملائكة.

المطلب الثاني: تحدثت فيه عن ألقاب الملائكة من حيث اشتمالها على صفات الملائكة وأصنافهم ووظائفهم.

المطلب الثالث: جعلته خاصاً بالحديث عن نهاية حياة الملائكة ومآلهم بعد ذلك.

المبحث الثاني: بينت فيه بياناً وافياً حقيقة عصمة الملائكة ودلائل هذه العصمة، وبعض الشبه التي أثارها المشككون في عصمة الملائكة، وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تحدثت فيه عن حقيقة عصمة الملائكة وثبوتها في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: ذكرت فيه دلائل عصمة الملائكة وأوردّت الشبه الرئيسة التي اعتمدها المشككون في عصمة الملائكة، مع الرد عليها.

ثم كانت الخاتمة والتي ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في عصمة الملائكة.

والله تعالى ولي العناية والتوفيق

المبحث الأول

حقيقة الملائكة وألقابهم ومآلهم

المطلب الأول: ماهية الملائكة:

تعريف الملائكة لغة:

المَلَكُ: الواحد من الملائكة، والأصل مَأْلَك، فقدموا اللام وأخروا الهمزة، فقالوا: ملأك، وهو مَفعَل من الألوك وهو الرسالة، ثم تُرك همزُه، وهو مأخوذ من (الألوك والمألَكة والمألُكةِ)، وهي الرسالة، وَقد سمّت الْعَرَب مالِكاً ومُلَيْكاً ومِلْكان، وسميت: ملائكة، لتبليغها رسائل الله ـ عز وجل ـ إلى أنبيائه صلوات الله عليهم، وقيل لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك:

فَلَسْتَ لإِنْسِيٍّ، وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك، فلما جمعوه ردوها فقالوا: ملائكة، وملائك[١].

وقيل: المَلَكُ أكثر من الملائكة، وبيانه أن الواحد إذا أريد به الجنس ـ والجنسية قائمة وحدان الجنس كلها ـ لم يخرج منه شيء، وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع[٢].

تعريف الملائكة اصطلاحاً:

الملائكة أجسام لطيفة وأرواح مبرأة عن جميع الرذائل والآفات النظرية منها والعملية، تظهر في صور مختلفة، موكلة في إدارة شؤون الكائنات المادية وصورها، مطلعة على أسرار الغيب دون غيرها، قوية على الأفعال العجيبة والخارقة، وهم عباد مكرمون يواظبون على الطاعة والعبادة، سابقة إلى الخيرات والمبرات ومواظبة على محاسن الأفعال، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولهم أجنحة وحواس[٣].

وللإمام الرازي تعريف تفصيلي للملائكة عند أهل الحق ومخالفيهم، إذ قال في تعريفهم وبيان ماهيتهم: "اختلفوا في ماهية الملائكة وحقيقتهم، وطريق ضبط المذاهب أن يقال: الملائكة لا بد وأن تكون ذواتا قائمة بأنفسها، ثم إن تلك الذوات إما أن تكون متحيزة أولا تكون:

أما الأول: وهو أن تكون الملائكة ذوات متحيزة فهنا أقوال:

أحدها: أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات، وهذا قول أكثر المسلمين.

وثانيا: قول طوائف من عبدة الأوثان: وهو أن الملائكة هي الحقيقة في هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس فإنها بزعمهم أحياء ناطقة، وأن المسعدات منها ملائكة الرحمة، والمنحسات منها ملائكة العذاب.

وثالثها: قول معظم المجوس والثنوية وهو أن هذا العالم مركب من أصلين أزليين وهما النور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شفافان مختاران قادران متضادا النفس والصورة، مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس، يسر ولا يضر، وينفع ولا يمنع، ويحيي ولا يبلي، وجوهر الظلمة على ضد ذلك، ثم إن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء،

وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه من السفيه لا على سبيل التناكح، فهذه أقوال من جعل الملائكة أشياء متحيزة جسمانية.

القول الثاني: أن الملائكة ذوات قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة ولا بأجسام فههنا قولان:

أحدهما: قول طوائف من النصارى وهو أن الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيرية، وذلك لأن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين.

وثانيهما: قول الفلاسفة: وهي أنها جواهر قائمة بأنفسها وليس بمتحيزة البتة، وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علماً منها، وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء، ثم إن هذه الجواهر على قسمين: منها ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، ومنها ما هي لا على شيء من تدبير الأفلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته ومشتغلة بطاعته، وهذا القسم هم الملائكة المقربون، ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السموات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة. فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما، ومنهم من أثبت أنواعا أخر من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي"[٤].

وقد أنكر أوائل المعتزلة[٥] الملائكة، وعللوا ذلك بأنها إن كانت أجساماً لطيفة وجب أن لا تكون قوية على شيء من الأفعال، وإن كانت أجساماً كثيفةً وجب أن نراها، وإلا لأمكن أن تكون بحضرتنا أجسام وأشكال لا نراها، وأُجيب عن ذلك بأن وجه الجواز في كونها لطيفة هو بمعنى عدم اللون لا بمعنى رقة القوام، وإذا سلمنا أنها كثيفة لم نسلم أنها واجبة الرؤيا، لأن رؤية الكثيف عند الحضور غير واجب[٦].

عقيدة الناس بالملائكة قبل الإسلام:

اختلفت عقائد الناس في الملائكة وفق الآتي:

أولاً: الناس المتبعون للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا الصنف آمن بالملائكة بناءً على إيمانهم بالأنبياء والرسل الذي أخبروا الناس بوجود الملائكة والإيمان بهم، وقد نادى الأنبياء والرسل ودعوا الناس إلى الإيمان بالملائكة إيماناً لازماً.

ثانياً: الناس الغير المتبعين للأنبياء، وهؤلاء اختلفوا في الملائكة وفق الآتي:

١. صنف منهم لم يتعرض للملائكة بنفي أو إثبات.

٢. صنف منهم أثبت وجود الملائكة، لكنهم اختلفوا في طريقة إثباتهم للملائكة، وهم الروحانيون وأكثر الفلاسفة، أما الروحانيون فقد أثبتوا وجودهم عن طريق المكاشفات والمشاهدات، وأما الفلاسفة فقد أثبتوا وجودهم عن طريق القسمة العقلية، وفي بيان ذلك يقول الإمام الرازي رحمه الله: "واختلف أهل العلم في أنه هل يمكن الحكم بوجودها من حيث العقل أو لا سبيل إلى إثباتها إلا بالسمع ؟ أما الفلاسفة فقد اتفقوا على أن في العقل دلائل تدل على وجود الملائكة، ولنا معهم في تلك الدلائل أبحاث دقيقة عميقة، ومن الناس من ذكر في ذلك وجوها عقلية إقناعية ولنشر إليها .

أحدها: أن المراد من الملك الحي الناطق الذي لا يكون ميتا، فنقول: القسمة العقلية تقتضي وجود أقسام ثلاثة ، فإن الحي إما أن يكون ناطقا وميتا معا وهو الإنسان، أو يكون ميتا ولا يكون ناطقا وهو البهائم، أو يكون ناطقا ولا يكون ميتا وهو الملك، ولا شك أن أخس المراتب هو الميت غير الناطق، وأوسطها الناطق الميت، وأشرفها الناطق الذي ليس بميت، فإذا اقتضت الحكمة الإلهية إيجاد أخس المراتب وأوسطها، فلأن تقتضي إيجاد أشرف المراتب وأعلاها كان ذلك أولى .

وثانيها: أن الفطرة تشهد بأن عالم السماوات أشرف من هذا العالم السفلي، وتشهد بأن الحياة والعقل والنطق أشرف من أضدادها ومقابلتها، فيبعد في العقل أن تحصل الحياة، والعقل والنطق في هذا العالم الكدر الظلماني، ولا تحصل البتة في ذلك العالم الذي هو عالم الضوء والنور والشرف.

وثالثها: أن أصحاب المجاهدات أثبتوها من جهة المشاهدة والمكاشفة ، وأصحاب الحاجات والضرورات أثبتوها من جهة أخرى ، وهي ما يشاهد من عجائب آثارها في الهداية إلى المعالجات النادرة الغريبة، وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات، ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة، فهذه وجوه إقناعية بالنسبة إلى من سمعها ولم يمارسها، وقطعية بالنسبة إلى من جربها وشاهدها واطلع على أسرارها، وأما الدلائل النقلية فلا نزاع البتة بين الأنبياء عليهم السلام في إثبات الملائكة، بل ذلك كالأمر المجمع عليه بينهم، والله أعلم"[٧].

المطلب الثاني: **ألقاب الملائكة**:

للملائكة ألقاب وردت في القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وهذه الألقاب تمثل بعض صفات الملائكة الكرام وبعض أصنافها ووظائفها، وقد اعتمدت الحديث عن هذه الألقاب بدلاً من الكلام على صفات الملائكة وأصنافهم لأن هذا المجال قد تطرق إليه الباحثون كثيراً وفصّلوا فيه وأطنبوا، ورأيت أن أبعد عن التكرار في البحث، وأن أسعى جاهداً لتقديم الجديد المبتكر ما أمكنني ذلك، وقد تناولت ألقاب الملائكة ورتبتها أبجدياً لأن الألقاب هي المستهدفة من البحث وليست الآيات التي وردت فيها، وفيما يأتي بيان لهذه الألقاب ومواطن ذكرها ومجمل معانيها:

١. الأشهاد:

ورد ذكر هذا اللقب بقول الله عز وجل:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٨]،يقول الإمام الطبري: "الأشهاد: الملائكة، يشهدون على بني آدم بأعمالهم"[٩].

٢. التاليات:

ذُكر هذا اللقب بقوله سبحانه: ﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾[١٠]، قال أبو حيان: "والتاليات: القارئات، قال مجاهد: الملائكة يتلون ذكره"[١١]، وذهب أبو مسلم الأصفهاني إلى أنّ هذه الألفاظ لا يجوز حملها على الملائكة؛ لأنها مشعرة بالتأنيث، والملائكة مبرؤون عن ذلك، وأجيب بوجهين:

الأول: أنها جمع الجمع، فإنه يقال جماعة تالية، ثم يجمع على تاليات.

والثاني: أنهم مبرؤون عن التأنيث المعنوي، وأما التأنيث اللفظي فلا، وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة؟[١٢].

٣. الجِنَّة:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[١٣]، في معنى قوله سبحانه: ﴿ ٱلْجِنَّةِ ﴾قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، والثاني، أنهم الجنّ، فعلى الأول يكون معنى قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أن الملائكة علموا هؤلاء المشركين الذين جعلوا بين الله تعالى وبين الملائكة نسباً لمحضرون في النار، وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الكريمة أن الجنّ أنفسهم علموا أنهم محضرون للحساب[١٤].

٤. الحفظة:

ورد هذا اللقب بقوله تبارك وتعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[١٥]، والحفظة هم الملائكة الذين يتعاقبون في الناس ليلاً ونهاراً، يحفظون أعمالهم ويحصونها، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون أي شيء منها[١٦]، وهم الموكلون ببني آدم، ملكان بالليل وملكان بالنهار، يكتب أحدهما الخير والآخر الشر، فإذا مشى يكون أحدهما بين يديه والآخر خلفه، فإذا جلس يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١٧]،ويقال: لكل إنسان خمسة من الملائكة اثنان بالليل، واثنان بالنهار الخامس لا يفارقه بالليل ولا بالنهار(١٨).

٥. حملة العرش:

استعمل القرآن الكريم هذا اللقب لصنف من الملائكة، وفيهم قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١٩]، وقال سبحانه: ﴿

وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾(٢٠)،حملة العرش هم سادة الملائكة ويسمون (الكروبيّون)، وفي بعض التفاسير: أن أقدامهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى حجزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العز والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح(٢١).

٦. الرّوح الأمين:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ژ(٢٢)،الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على النبي محمّدﷺ، وهو جبريل عليه السلام(٢٣)،وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه(٢٤).

٧. الرسل:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقوله جل وعز: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾(٢٥)،هم ملك الموت وأعوانه، أي الملائكة الذين مع ملك الموت، قال ابن عباسﷺ: لملك الموت أعوان من الملائكة، يُخرِجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم(٢٦).

٨. الرّوحانيّون:

قال الإمام السيوطي: إن الملائكة يسمون الرّوحانيين بضم الراء وفتحها؛ أما الضم فلأنهم أرواح ليس معها ماء ولا نار ولا تراب، ومن قال هذا قال: الروح جوهر، وقد يجوز أن يؤلّف الله أرواحاً فيجسمها، ويخلق منها خلقاً ناطقاً عاقلاً، فيكون الروح مخترعاً، والتجسيم وضم النطق والعقل إليه حادثاً، ويجوز أن يكون أجسام الملائكة على ماهي عليه اليوم مخترعة كما اخترع عيسى (عليه السلام) وناقة صالح (عليه السلام)، وأما الفتح فبمعنى أنهم ليسوا محصورين في الأبنية والظلل، ولكنهم في فسحة وبساط، وقد قيل: إن ملائكة الرحمة هم الرَّوحانيون ـ بفتح الراء ـ من الروح(٢٧).

٩. الزاجرات:

ذكر هذا اللقب في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴾[٢٨]،اختلف العلماء في معناها، فقال مجاهد والسدي: هي الملائكة التي تزجر السحاب وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى، وقال قتادة: هي آيات القرآن المتضمنة النواهي الشرعية، وبنحو ذلك ذكر الإمام ابن الجوزي إذ قال: وفي الزاجرات قولان: أحدهما: أنها الملائكة التي تزجر السحاب، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أنها زواجر القرآن وكل ما ينهى ويزجر عن القبيح، قاله قتادة[٢٩].

١٠. الزبانية:

جاء ذكر هذا اللقب في آيات الذكر الحكيم بقول الله عز وجل: ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[٣٠]، الزبانية خزنة جهنم، وهم أعظم الملائكة خلقاً وأشدهم بطشاً، ويطلق الزبانية على من اشتد بطشه، وهم الذين قال الله تعالى في وصفه م:﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾[٣١]، قال ابن عباس﵄: سموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها؛ ومن صفاتهم أنهم غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا، خُلقوا من الغضب، وحُبِّب إليهم عذاب الخلق كما حُبِّب لبني آدم أكل الطعام والشراب[٣٢].

١١. السابحات:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾[٣٣]، هم الملائكة الذين يقبضون أرواح الصالحين، يسلونها سلاً رقيقاً ويتركونها حتى تستريح ،ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة، وقيل: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه يقال له: سابح [٣٤].

١٢. السابقات:

ذكر هذا اللقب بقول الله تعالى: ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾[٣٥]، ذكر الإمام الرازي كلاماً جامعاً في توجيه معنى (السابقات) فقال رحمه الله: منهم من فسره بملائكة قبض الأرواح يسبقون بأرواح الكفار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، ومنهم من فسره بسائر طوائف الملائكة، ثم ذكروا في هذا السبق وجوها:

أحدها :قال مجاهد: إن الملائكة سبقت ابن آدم بالإيمان والطاعة، ولا شك أن المسابقة في الخيرات درجة عظيمة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣٦].

ثانيها: قال الفراء والزجاج: إن الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء؛ لأن الشياطين كانت تسترق السمع.

ثالثها: ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى وصفهم فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٣٧]، يعني قبل الإذن لا يتحركون ولا ينطقون تعظيماً لجلال الله تعالى وخوفا من هيبته، وهاهنا وصفهم بالسبق يعني إذا جاءهم الأمر، فإنهم يتسارعون إلى امتثاله ويتبادرون إلى إظهار طاعته[٣٨].

١٣. السفرة:

جاء ذكر هذا اللقب في آيات الذكر الحكيم بقوله سبحانه: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٣٩]، السفرة ملائكةٌ موكلون بالأسفار من كتب الله عز وجل[٤٠]، ونقل الواحدي عن الفرّاء: السفرة الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله، من السفارة وهي السعي بين القوم[٤١].

١٤. صاحب القرن:

ورد هذا اللقب في الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ وحنَى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ »[٤٢]،قال الإمام ابن حجر رحمه الله: اشتهر أنّ صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونقل فيه الحليمي الإجماع[٤٣]، وسمي (إسرافيل) لكثرة أجنحته[٤٤].

١٥. الصافات:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله عز وجل: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾[٤٥]، ذكر السمعاني ثلاثة أقوال في بيان معنى (الصافات): روى مسروق عن ابن مسعود، وعكرمة عن ابن عباس: أنهم الملائكة، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنهم عباد السماء، وعن بعضهم: أن المراد منه

صفوف المسلمين في الجماعات، وأشهر الأقاويل هو القول الأول، والملائكة صفوف في السماء يذكرون الله تعالى ويذكرهم، ويقال: إن معنى الآية أن الملائكة تصف أجنحتها إذا نزلت إلى الأرض(٤٦).

١٦. الفارقات:

جاء ذكر هذا اللقب بقوله تعالى: ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾(٤٧)، ذكر الإمام ابن الجوزي أربعة أقوال في بيان معنى الفارقات فقال: وفي (الفارقات) أربعة أقوال:

أحدها: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، قاله الأكثرون.

الثاني: آي القرآن فرقت بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقتادة، وابن كيسان.

الثالث: الريح تفرق بين السحاب فتبدده، قاله مجاهد.

الرابع: الرسل، حكاه الزجاج(٤٨).

١٧. الكتبة:

ورد هذا اللقب بصيغة الفعل في آيتين من القرآن الكريم: الأولى بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾(٤٩)، وبقوله سبحانه: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾(٥٠)، الكتبة الملائكة سموا بذلك لأنهم يكتبون أعمال العباد صغيرها وكبيرها، بل يكتبون جميع ما يصدر عن الناس من قول أو فعل(٥١).

١٨. كرام بررة:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾(٥٢)،الملائكة الذين يحصون على الناس أعمالهم (كرام) يعني كراماً على الله تعالى، و(بررة) أي: مطيعون لله تعالى، أو بررة من الذنب بمعنى لا ذنب لهم (٥٣).

١٩. الكروبيون:

الكروبيونأعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً،وهم سادة الملائكة كجبرائيل وإسرافيل وغيرهم، وهم المقربون من كرُب إذا قرب، وعن ابن عباسﷺ في قوله تعالى:

﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾(٥٤)، قال: هم اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية صفوفٍ وهم الكروبيون، وهو تبارك وتعالى الذي يحملهم ويمسكهم بقدرته ليس هم يحملونه، ولكنه عظّم بذلك نفسه(٥٥).

عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام»(٥٦).

٢٠. المدبرات:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾(٥٧)، قال ابن فورك: هي الملائكة، تدبر الأشياء بأمر الله، وتدبيرها فيما وكلت به من الرياح والأمطار ونحو ذلك من الأمور(٥٨)، وقال ابن عطية: لا أحفظ خلافا أنها الملائكة، ومعناه أنها تدبر الأمور التي سخرها الله تعالى وصرفها فيها(٥٩).

٢١. المرسلات:

جاء ذكر هذا اللقب بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾(٦٠)، قال الطبري: هي الملائكة التي ترسل بالعرف، وهي الرسل ترسل بالمعروف، فتأويل الكلام: والملائكة التي أرسلت بأمر الله ونهيه، وذلك هو العرف(٦١)، ونقل ابن عطية عن عبد الله بن مسعود ﷺ: (المرسلات) الملائكة المرسلة بالوحي، وبالتعاقب على العباد طرفي النهار(٦٢)، وقال الرازي: المرسلات هم الملائكة الذين أرسلهم الله إما بإيصال النعمة إلى قوم أو لإيصال النقمة إلى آخرين(٦٣).

٢٢.المطهّرون:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله عز وجل: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾(٦٤)،المطهرون من الذنوب وهم الملائكة الذين في السماء(٦٥)، وقال الواحدي: أكثر المفسرين على أن الكناية في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾تعود إلى الكتاب المكنون، والمطهرون هم الملائكة، أي:لا يمس ذلك اللوح المحفوظ إلا الملائكة، الذين وصفوا بالطهارة(٦٦)، وربط ابن كثير ربطاً لطيفاً بين طهارة الملائكة وطهارة المسلمين في لمس

المصحف فقال: ولهذا استنبط العلماء من ذلك أن المحدث لا يمس المصحف؛ لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم(٦٧).

٢٣. المعقبات:

جاء ذكر هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ﴾(٦٨)،الصحيح أن المعقبات هم الملائكة الذين يختلفون إلى أهل الأرض يكتبون أعمالهم، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً(٦٩).

٢٤. المقسمات:

ذكر هذا اللقب بقول الله عز وجل: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾(٧٠)،هي الملائكة التي تقسم الأمور الغيبية من الأمطار والأرزاق والآجال، والخَلْق في الأرحام، وأمر الرياح، وغير ذلك(٧١).

٢٥. الملأ الأعلى:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله جل وعز: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾(٧٢)، هم الملائكة وسمّوا بذلك لأنهم يسكنون السماء، والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض(٧٣)، وقيل: هم قريش، قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف لا يتقوى(٧٤).

٢٦. الملقيات:

ذكر هذا اللقب بقول الله تعالى: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾(٧٥)، الملقيات هم الملائكة، تلقي كتاب الله إلى الأنبياء(٧٦)، قال الثعالبي: الملقيات ذكراً، هي في قول الجمهور الملائكة، وقال آخرون: هي الرسل(٧٧).

٢٧. النازعات:

ورد هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾[٧٨]، النازعات هي الملائكة تنزع النفس[٧٩]، قال ابن فورك: الجاذبات الشيء من أعماق ما هو فيه، وقيل: هي الملائكة تنزع الأرواح من الأبدان، مروي عن ابن عباس وابن مسعود[٨٠].

٢٨. الناشرات:

جاء ذكر هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله سبحانه: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾[٨١]، قال ابن عطية: الناشرات طوائف الملائكة التي تباشر إخراج الموتى من قبورهم للبعث فكأنهم يحيونهم[٨٢]، وقيل: الملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال[٨٣]، وقال ابن عجيبة: الناشرات أجنحتها في الجو عند انحطاطها بالوحي، أو: الناشرات للشرائع نشراً في الأقطار[٨٤].

٢٩. الناشطات:

ذكر هذا اللقب في القرآن الكريم بقول الله سبحانه: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾[٨٥]، ذهب الطبري إلى القول بعدم تخصيص اللفظ بمعنى دون آخر، فاختار تعميم المصطلح على تخصيصه، فقال: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالناشطات وهي التي تنشط من موضع إلى موضع فتذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات، والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم أيضا تنشط[٨٦].

قال ابن عطية: واختلف المتأولون في الناشطات، فقال ابن عباس ومجاهد: هي الملائكة؛ لأنها تَنشط النفوسَ عند الموت، أي: تحلها كحل العقال، وتنشط بأمر الله، أي: حيث كان[٨٧].

المطلب الثالث: **موت الملائكة ومآلهم**:

تدل النصوص القرآنية على فناء جميع المخلوقات، وهذه النصوص الكريمة دلت على ذلك بعمومها، وأحياناً تخص بني آدم بذكر الموت، أما موت الملائكة فقد ذكر القرآن موتهم ضمن موت المخلوقات عموماً، فقال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[٨٨]، نقل

السمرقندي عن الكلبي أنه لما نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٨٩)،قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فلما نزل ژ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿژ، أيقنت الملائكة أنها تهلك معهم(٩٠)، ونقل ذلك الإمام الرازي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾قالت الملائكة: مات أهل الأرض، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، قالت الملائكة: متنا(٩١).

ومما يدل على موت الملائكة أيضاً عموم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾(٩٢)، الصعق هو الموت الذي يترتب نتيجة عن النفخ في الصور، فالذين يصعقون في الأرض هم الإنس والجنّ، والذين يصعقون في السماء هم الملائكة، ويستثني الله تعالى من يشاء من ذلك(٩٣).

وقد اختلف أهل التأويل بالمعني بالاستثناء في الآية الكريمة، قال الإمام الماوردي(٩٤): فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وملك الموت يقبض أرواحهم بعد ذلك، قاله السدي.

الثاني: الشهداء ، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: هو الله الواحد القهار ، قاله الحسن.

وذهب الإمام الرازي إلى القول بأن المراد إلا من ثبّت الله قلبه من الملائكة، قالوا: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، وقيل: الشهداء، وعن الضحاك: الحور وخزنة النار وحملة العرش، وعن جابر: موسى منهم؛ لأنه صعق مرة، وليس فيه خبر مقطوع، والكتاب إنما يدل على الجملة(٩٥).

وقال الإمام الإيجي: وبعض السلف: هم الشهداء لا يصل إليهم الفزع أحياء عند ربهم، أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، لا يصل إليهم الفزع ثم يقبض أرواحهم، أو موسى بدل صعقته في الدنيا، أو الحور ورضوان ومالك والزبانية، وقيل غير ذلك(٩٦).

وللإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري كلامٌ مفصّل جامع للأقوال الماضية، فقال(٩٧): وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال:

الأول: أنهم الموتى كلهم لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون.

الثاني: عن سعيد بن جبير موقوفاً: هم الشهداء.

الثالث:هم الأنبياء، وإلى ذلك جنح البيهقي في تجويزه أن يكون موسى (عليه السلام)ممن استثنى الله.

الرابع: قال يحيى بن سلام في تفسيره بلغني أن آخر من يبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يموت الثلاثة ثم يقول الله لملك الموت مت فيموت.

الخامس: يمكن أن يؤخذ مما في القول الرابع.

السادس: الأربعة المذكورون وحملة العرش.

السابع: موسى عليه السلام وحده.

الثامن: الوُلدان الذين في الجنة والحور العين.

التاسع:هم خزان الجنة والنار، وما فيها من الحيات والعقارب.

العاشر: العاشر الملائكة كلهم جزم به ا بن حزم.

فهذه الأقوال جامعة للخلاف في المعني بالمستثنى من نفخة الصعق، فالأقوال التسعة دالة على موت الملائكة وإن استثنى الله تعالى في بعضها أصنافاً من الملائكة، أما القول العاشر فهو مذهب ابن حزم في نفي الموت عن الملائكة، إذ يرى أن الملائكة أرواح لا أرواح فيها، فعنده أن الملائكة لا تموت أصلاً.

لكن جمهور المفسرين والعلماء ذهبوا إلى أن الملائكة تموت، لأنها خلق من الخلائق، ومما يدل على ذلك ما ورد من أقوال المفسرين والعلماء ومنها:

ما قاله الإمام الحليمي في بيان موت الملائكة[٩٨]: "والإيمان بالملائكة ينتظم معاني أحدهما: التصديق بوجودهم، والآخر: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقة كالإنس والجن،

مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما يقدر لهم الله تعالى، والموت جائز عليهم ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه".

وقال الإمام ابن تيمية[٩٩]: الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت، والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه، وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة أتباع أرسطو وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس، وأنه لا يمكن موتها بحال؛ بل هي عندهم آلهة وأرباب هذا العالم، والقرآن وسائر الكتب تنطق بأن الملائكة عبيد مدبَّرون.

وقال الإمام ابن كثير[١٠٠]: إن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبدا.

فخلص مما مضى من الأقوال أن الملائكة تموت وتنتهي حياتها وفق الأعمار التي قضاها الله تعالى لهم، ثم يحييهم بعد إماتتهم لإظهار قدرته تعالى وتفرده بالألوهية المطلقة وسيادة الكون بكل ما فيه، أما تفصيل ذلك فلم يرد بيان إلا ما أجمله القرآن الكريم وبيّنه النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما مآل الملائكة ومحاسبتهم فهي قضية عقدية ينبغي الوقوف عندها وتبدر حيثياتها، فقد يراود النفس حديث عن مآل الملائكة وحسابهم، وهل يثابون على الأعمال الصالحة أم لا؟ وإن كانوا يثابون فما جزاء هذه المثوبة عند الله تعالى؟

وبعد البحث والتقصي عن ذلك وجدت بُغيتي بين صفحات كتاب المنهاج للإمام الحليمي رحمه الله تعالى، إذ ذكر جواباً وافياً كافياً لما يدور في الخلد من تلك الأسئلة، فقال[١٠١]: إن الملائكة أمناء لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم من خشيته مشفقون، وهم لا يزيدون ولا ينقصون ولا يحرفونه، ولا يغلطون ولا ينسون، فلا حجة عليهم في موقف العرض والحساب.

وقال في موضع آخر[١٠٢]: فإن سأل سائل عن الملائكة، هل تكتب أعمالهم؟ وهل يحاسبون ويثابون ؟قيل له: إن الملائكة هم الذين يكتبون أعمال الناس، ولو كتبت أعمال الملائكة لاحتاج كل ملَك إلى كاتب أو اثنين، وذلك الكاتب إلى مثل ذلك إلى ما لا يتناهى، والقول بذلك فاسد.

والمحاسبة أيضا لا معنى لها، لأنهم لا يخلطون الحسنات بالسيئات، وما أكثر من لا يحاسب من بني آدم، فلا تكون الملائكة أدنى منزلة منهم.

وأما الإثابة فقد قيل: يُرفَع التكليف عنهم فيتنعمون بالراحة ويتلذذون بالدعة، وليسوا من أهل المطاعم والمشارب، فيوردون موارد بني آدم من الجنة، ويحتمل أن يكون قد أوضع التكليف غيرهم نعمة أعدها الله لهم ولا تبلغها أفهامنا وعقولنا، وإذا جاز أن يعد الله للناس الثواب المغيب، فأولى أن يكون ذلك للملائكة.

المبحث الثاني

حقيقة عصمة الملائكة ودلائلها ورد شبه عنها

المطلب الأول: حقيقة عصمة الملائكة:

العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه[١٠٣].

والعصمة اصطلاحاً ورد في معناها عدة تعاريف أوردها على سبيل البيان الإجمالي من بعض كتب علم الاصطلاح ثم أذكر تعريفها من كتب العقيدة لإثبات حقيقتها، قال الإمام الجرجاني: "العِصمة: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"[١٠٤]، وقال الإمام السيوطي: "العصمة: ملكة نفسانية تمنع عن الفجور"[١٠٥]، وقال الإمام الكفوي: العصمة: عدم القدرة على المعصية، أو خلق مانع منها غير ملجئ بل ينتفي معه الاختيار[١٠٦].

وهذه التعاريف الثلاثة هي التي توضح معنى العصمة في حق الملائكة، لكن تحتاج إلى بيان بعض العبارات التي لا ينطبق فحواها على الملائكة، فتعريف الإمام الجرجاني ينطبق على الملائكة في شطره الأول دون الثاني، فقوله: "مع التمكن منها" لا ينطبق على الملائكة؛ لأن الله

تعالى لم يخلق فيهم القدرة على المعصية أصلاً كما سيأتي بيانه في دلائل العصمة، وكذلك الحال مع قول الإمام السيوطي، إذ إن قوله: "تمنع عن الفجور" لا تنطبق على الملائكة؛ لأن الملائكة ليس لهم القدرة على إرادة الفجور والهمّ به، وكذلك أيضاً يستثنى قول الإمام الكفوي: "بل ينتفي معه الاختيار"؛ لأن الملائكة ليس لهم إرادة واختيار.

أما علماء العقيدة فقد عرفوا العصمة تعريفاً مجملاً يشمل عصمة الأنبياء ويشمل الملائكة في بعض حيثياته، ومن ذلك تعريف الإمام الجرجاني إذ قال: العصمة أن لا يخلق فيهم ذنباً، وهي عند الحكماء ـ بناء على ما ذهبوا إليه من القول بالإيجاب والاعتبار واستعداد القوابل ـ ملكة تمنع من الفجور، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، فإنه الزاجر عن المعصية والراعي إلى الطاعة[١٠٧].

وقد ذهب الإمام ابن عرفه إلى أن الملائكة أرواح مبرّأة عن الرذائل والآفات النظرية والعملية[١٠٨].

فتعريف الإمام الجرجاني يظهر أن الملائكة لا يخلق الله فيهم ذنباً، وذكرُ عبارة (ملكة) نقلاً عن قول بعض الحكماء يراد بها هنا الملكة النفسانية، لكنها في حق الملائكة هي ملكة ربانية لا نفسانية، لأن الملكة النفسانية تعود إلى النفس القابلة للمعصية، فيحجزها الله عن المعصية عصمة لها منها، أما الملكة الربانية فهو اصطفاء رباني بأن لا تكون قابلة شرعاً للمعصية أصلاً، وهو ما يدل عليه تعريف الإمام ابن عرفة لعصمة الملائكة.

وقد اختلف العلماء في ثبوتها ونفيها، فأثبتها بعضهم ونفاها البعض الآخر، وسأذكر بعض النصوص الواردة في ذلك ثم أحلل الأقوال للوصول إلى قدر مشترك للتوفيق بين الأقوال المختلفة في ذلك.

للإمام أبي منصور الماتريدي (رحمه الله) رأي في ثبوت العصمة للملائكة إذ يقول: المعصية من الملائكة ممكن محتمل؛ فدل ذلك على أنهم مختارون في ذلك غير مجبولين عليه، إذ العقل لا ينكر وقوع المعصية من الملائكة، ويوجد منهم خلاف ما كلفوه، ويخلق فيهم

الشهوات، إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم، ولكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع ولم يصح(١٠٩).

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله: "والملائكة وحور العين معصومون لم يخلق الله تعالى فيهم معصية أصلاً، لا طاعة ولا معصية"(١١٠).

وقال في موضع آخر: "وأنّه لا يعصي ملك من الملائكة أصلاً، لا بخطأ ولا نسيان"(١١١).

ويقول القاضي عياض رحمه الله: أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم، كالأنبياء مع الأمم.

واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي، وذهبت طائفة: إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير.

والصواب: عصمة جميعهم، وتنزيه نصابهم، الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم(١١٢).

ويقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى: اختلفوا في أن الملائكة هل هم قادرون على المعاصي والشرور أم لا؟ فقال جمهور الفلاسفة: إنهم خيرات محض ولا قدرة لهم البتة على الشرور والفساد، وقال جمهور المعتزلة: إنهم قادرون على الأمرين.

والجمهور الأعظم من علماء الدين اتفقوا على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب(١١٣).

ويقول الإمام التفتازاني: "واستقر الخلاف بين المسلمين في عصمتهم، وفي فضلهم على الأنبياء، ولا قاطع في أحد الجانبين"(١١٤).

ويقول أبو المحاسن القاوقجي: "والعصمة واجبة لهم كالأنبياء، وفعل المعاصي مستحيل عليهم، كالشهوات البشرية"(١١٥).

هذه بعض أقوال العلماء في إثبات عصمة الملائكة ونفيها، ومن خلال هذه الأقوال يمكن إجمال مضامينها بما يأتي:

اتفق جميع العلماء على أن رسل الملائكة معصومون عصمة تامة، وأثبتوا لهم العصمة كما أثبتوها لرسل البشر عليهم الصلاة والسلام، وذهب جمهور أهل العلم إلى القول بعصمة سائر الملائكة، وذهب بعضهم إلى القول بأنهم غير معصومين، ولكن هناك وجوه عدة إلى قول ذلك، فمنهم من يجعل جواز وقوع المعصية منهم أمراً مناطاً إلى العقل، أي إن العقل يجوّز وقوع المعصية منهم، وإن كان لم يثبت شرعاً وقوعها من الملائكة، ومنهم من يجعل جواز وقوع المعصية منهم مناطاً إلى القدرة على المعصية، فالملائكة ـ برأيهم ـ قادرون على المعصية كقدرتهم على الطاعة، لكنه لم يثبت وقوع المعصية منهم، وذهب بعض أهل العلم في عصرنا إلى القول بأن الملائكة معصومون من الخطيئة وليسوا معصومين من الخطأ، واستدل على ذلك بوجود وقائع لأناس ماتوا ثم عادوا إلى الحياة تارة أخرى بعد الموت، ولعل المستند في ذلك هو كتاب (مَن عاش بعد الموت) للإمام ابن أبي الدنيا، بيد أني قرأت ذلك الكتاب كله فما وجدت فيه شيئاً من ذلك، لا نصاً ولا إشارة، وغاية ما وجدت فيه إما معجزات لأنبياء، أو كرامات لأولياء صالحين، أو رؤًى صالحة وقعت لبعضهم، لأن الملائكة لا تخطئ في قبض الأرواح، لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[١١٦]،يقول الإمام الرازي: "الملائكة الموكلون بقبض الأرواح لا يقصرون فيما أمروا به"[١١٧]،ويقول المظهري في تفسيره: "أي لا يقصرون بالتواني والتأخير، ولا يقدرون على قبض الأرواح إلا بعد إذنه تعالى"[١١٨].

وللإمام الآمدي ـ رحمه الله ـ عبارات لطيفة في تلخيص غاية الخلاف في عصمة الملائكة، إذ يقول: "وبالجملة: فهذه المسألة ظنية سمعية، والترجيح فيها لكل حسب ما يتفضل الله ـ تعالى ـ عليه من المنة وجودة القريحة، كما في غيرها من المسائل الاجتهادية"[١١٩].

المطلب الثاني: **دلائل عصمة الملائكة وردّ بعض الشبه حولها**:

أولاً: **دلائل عصمة الملائكة**:

استدل العلماء على عصمة الملائكة بأدلة من الآيات القرآنية الكريمة أذكر أهمها مع بيانٍ لوجه الاستدلال فيها:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١٢٠).

وجه الاستدلال:

أن البيان يتناول جميع الملائكة في فعل جميع المأمورات، وترك جميع المنهيات؛ لأن كل ما نهي عن فعله فقد أُمر بتركه، وذلك يدل على عدم المعصية في حقهم؛ لأن المعصية إما بمخالفة الأمر أو النهي، ولا جائز أن يقال: إنها في حقهم بمخالفة الأمر؛ إذ هو خلاف النص، ولا جائز أن يقال: إنها بمخالفة النهي؛ لأن النهي عن الشيء أمر بأحد أضداده، ومخالفة النهي إنما تكون بارتكاب المنهي عنه، وارتكاب المنهي عنه يلزم منه أن لا يكون قد تلبس بضد من أضداد المنهي، وفيه مخالفة الأمر، وهو خلاف مدلول الآية(١٢١).

الدليل الثاني:

يشهد على عصمة الملائكة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾(١٢٢).

وجه الاستدلال:

وصف الله تعالى الملائكة الكرام بالقرب والشرف والتواضع، وخصهم بالكرامة المطلقة والامتثال، وأخبر أن الملائكة معصومون عن مخالفة أمره سبحانه ،فهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ويعملون ما يأمرهم به، حذرون أن يعصوه، ويخالفوا أمره ونهيه، وهذا البيان الإلهي صريح في براءتهم عن المعاصي، وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي (١٢٣).

الدليل الثالث:

ومما يدل على عصمة الملائكة ما ورد في القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾(١٢٤).

وجه الاستدلال:

الملائكة لا يلحقهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا غفلة الأبدان، طعامهم التسبيح، وشرابهم التقديس والتحميد والتهليل، وتنفسهم بذكر الله، وفرحتهم بخدمة الله، متجردون من العلائق البدنية، فالآية الكريمة تبين أن الملائكة لا تعتريهم فترات انقطاع عن تسبيح الله تعالى، لا في الليل ولا في النهار، ومن كانت هذه صفته في جميع أوقاته فكيف يصدر عنه ذنب أو تقع منه معصية؟![١٢٥].

الدليل الرابع:

ويدل على عصمة الملائكة قوله الله عز وجل: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[١٢٦].

وجه الاستدلال:

إن الملك قد يرسل إلى ملك آخر أو يرسل إلى البشر، وفي كلا الحالين هم رسل، والرسل معصومون؛ لأنه تعالى قال في تعظيمهم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[١٢٧]، وهو يفيد المبالغة التامة في التعظيم، فيكونون أتقى الناس، والآية أشارت إلى إرسال عموم الملائكة، فالملائكة جميعاً هم رسل الله، وبثبوتهم رسلاً لله تعالى ثبتت عصمتهم تبعاً للعصمة في حق المرسل من الله عز وجل[١٢٨].

ثانياً: رد بعض الشبه عن عصمة الملائكة:

أثار الطاعنون بعصمة الملائكة عدة شبه للتشكيك والتضليل، وإبعاد الناس عن العقيدة الحقة في ثبوت العصمة للملائكة عليهم السلام، وهي شبه عديدة لا يسع نطاق البحث استيفاءها جميعاً، بيد أنني سأتناول شبهتين رئيستين من تلك الشبه، وأذكر فحوى الشبهة ثم أورد الأدلة القاطعة على بطلانها.

الشبهة الأولى: قصة هاروت وماروت:

ذكر الإمام السيوطي هذه القصة في تفسيره، وأوردها بروايات غريبة، وخلاصة هذه القصة كما ذكرها السيوطي:

إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٢٩]، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان، فقالوا: ربنا هاروت وماروت، قال فاهبطا إلى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك، قالا: والله لا نشرك بالله أبداً، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي، قالا: لا والله لا نقتله أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدح من خمر، فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكراً فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً أبيتماه علي قد فعلتماه حين سكرتما، فخُيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا[١٣٠].

الجواب على هذه الشبهة:

إن هذه القصة مخالفة للعقل والنقل، أما مخالفتها للعقل فقد ثبت بما مر عرضه في هذا البحث عصمة الملائكة، فأُلزم العقل بالنقل في إثبات هذه العصمة، وتصديق هذه القصة خروج للعقل عن نطاقه السوي، وأما مخالفتها للنقل فقد نص غير واحد من الأئمة على سقمها، وبعضهم نص على وضعها، ومنهم الإمام السيوطي في كتابه (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) إذ قال بعد أن ذكر حديثاً فيه خلاصة القصة: موضوعٌ[١٣١].

وقال القاضي عياض رحمه الله: إن هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثيرٌ من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى أولا لآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه، وقد انطوت القصة على شنع عظيمة[١٣٢].

وأما الاحاديث المرفوعة التي نقلت هذه القصة فهي من المرويات الإسرائيلية التي نقلها كعب الأحبار، ولعل أدل شيء على ذلك ما ذكره الإمام المحقق ابن كثير (رحمه الله) إذ قال: وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية ومقاتل وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال[١٣٣].

والمسلك الصحيح في بيان هذه القصة أن السحرة كانوا يتلقون الغيب من الشياطين، وكانوا يلقونها فيما بين الخلق، وكان ذلك تشبيهاً بالوحي النازل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالله تعالى أمر الملَكين بالنزول إلى الأرض حتى يعلما الناس كيفية السحر، ليظهر بذلك الفرق بين كلام الأنبياء وبين كلام السحرة، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[١٣٤]، أي: نحن إنما نعلمكم السحر لتتوصلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر، فلا ينبغي أن تستعملوا هذا السحر في أغراضكم الباطلة، فإنكم إن فعلتم ذلك كفرتم.

والحاصل أن الله تعالى أنزلهما ليتبين من خلال إرشادهما الفرق بين الحق والباطل، وبين المعجزة والسحر، والجهال قلبوا القصة، وجعلوا ذلك سبباً للطعن في هذين المعصومين، وذلك جهل عظيم[١٣٥].

الشبهة الثانية: **وعيد الله تعالى للملائكة**:

استدل المشككون في عصمة الملائكة بوعيد الله تعالى للملائكة على جواز وقوع الذنب منهم، ولولا ذلك لما توعدهم بالعذاب، وذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾[١٣٦]، وهذا يقتضي أن الملائكة مزجورون ممنوعون[١٣٧]، فهم يرون أن

الممدوح على ترك الشيء لا بد وأن يقدر عليه، فلا يتصور منه الفعل، ولا يحسن مدحه على تركه في العرف، ولو فعل ذلك فاعل عد فعله مستقبحاً عرفاً، وأن الله تعالى توعدهم على تقدير صدور الذنب، ومن لا يتصور منه صدور الذنب لا يتوعد عليه(١٣٨).

الجواب على هذه الشبهة:

ليس في الآية الكريمة دليل على وقوع الذنب من الملائكة؛ وذلك لأن بعض أهل التفسير وجه المراد بالآية نحو الإنس والجنّ، ومنهم الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى، إذ قال في تفسيره: في هذه الآية دلالة أنه عصم ملائكته عن عمد ما يستوجبون به جهنم، وخص الإنسان والجن فيما يملأ بهما جهنم(١٣٩)، ومن المفسرين من ذكر أن المقصود من الآية هو إبليس، كالإمام الطبري، إذ قال في بيان المراد من الآية الكريمة: " هي خاصة بإبليس "(١٤٠).

فالآية تطرق تفسيرها الاحتمال في حصر المراد بها، فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على جواز وقوع المعصية في حق الملائكة؛ لأن الدليل إذا تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجابون بأن الوعيد على الفعل لا يدل على صدور ذلك الفعل عنهم، كما قال الله تبارك وتعالى لحبيبه محمّد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾(١٤١)، وقوله سبحانه تعالى: ﴿ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾(١٤٢)، لا يدل على أنه أطاع الكافرين، ولا على أنه (حاشاه صلى الله عليه وسلم) أشرك بالله تعالى.

وما أجمل ما قاله الإمام الزملكاني في الكلام على هذه الأدلة، إذ قال رحمه الله: " واعلم أن الأدلة في هذه المسألة ليست سالمة عن المعارضة والمناقضة من الجانبين، وليست كبيرة الجدوى بعد استقرار العصمة "(١٤٣).

الخاتمة والنتائج

توصلت من خلال مضامين البحث في قضية عصمة الملائكة إلى عدد من النتائج، وفي أدناه بيان لمجمل هذه النتائج:

١. اختلفت عقائد الناس في الملائكة وفق الآتي:

أولاً: الناس المتبعون للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا الصنف آمن بالملائكة بناءً على إيمانهم بالأنبياء والرسل.

ثانياً: الناس غير المتبعين للأنبياء والرسل، وهؤلاء اختلفوا في الملائكة وفق ما يلي:

أ ـ صنف منهم لم يتعرض للملائكة بنفي أو إثبات.

ب ـ صنف منهم أثبت وجود الملائكة، لكنهم اختلفوا في طريقة إثباتهم للملائكة، وهم الروحانيون وأكثر الفلاسفة، أما الروحانيون فقد أثبتوا وجودهم عن طريق المكاشفات والمشاهدات، وأما الفلاسفة فقد أثبتوا وجودهم عن طريق القسمة العقلية، فالفلاسفة اتفقوا على أن في العقل دلائل تدل على وجود الملائكة ،وأصحاب المجاهدات أثبتوها من جهة المشاهدة والمكاشفة، وأصحاب الحاجات والضرورات أثبتوها من جهة ما يشاهد من عجائب آثارها في الهداية إلى المعالجات النادرة الغريبة.

٢. للملائكة (عليهم السلام) ألقاب عديدة، وهذه الألقاب تمثل بعض أصناف الملائكة وصفاتهم ووظائفهم، فمثال الألقاب التي تمثل صنفها منها: الرّوح الأمين، حملة العرش، الرسل، الكتبة، وغير ذلك، ومثال الألقاب التي تمثل صفاتهم منها: الرّوحانيّون، الصافات، كرام بررة، وغير ذلك، وأما الألقاب التي تمثل بعض وظائفهم منها: الحفظة، الزاجرات، الزبانية، السابحات، وغير ذلك.

٣. بالنسبة لحياة وموت الملائكة فالذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت، والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه، وإنما خالف في ذلك طوائف من المتفلسفة أتباع أرسطو وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس، وأنه لا يمكن موتها بحال، فالملائكة تموت حالها حال المخلوقات الأخرى، لكنها تعيش أعماراً طويلة لا يعلمها إلا الله قد تمتد إلى قيام الساعة.

هذا فيما يتعلق بموتهم، وأما مآلهم بعد الموت وخضوعهم للحساب الإلهي، فالأدلة أظهرت أن محاسبة الملائكة لا معنى لها، لأنهم لا يخلطون الحسنات بالسيئات، وما أكثر من لا يحاسب من بني آدم، فلا تكون الملائكة أدنى منزلة منهم.

وأما الإثابة فقد قيل: إن التكليف يُرفَع عنهم فيتنعمون بالراحة ويتلذذون بالدعة، وليسوا من أهل المطاعم والمشارب، فيوردون موارد بني آدم من الجنة.

٤. فيما يتعلق بعصمة الملائكة فقد اتفق جميع العلماء على أن رسل الملائكة معصومون عصمة تامة، وذهب جمهور أهل العلم إلى القول بعصمة سائر الملائكة، وذهب بعضهم إلى القول بأنهم غير معصومين، فمنهم من يجعل جواز وقوع المعصية منهم أمراً مناطاً إلى العقل، ومنهم من يجعل جواز وقوع المعصية منهم مناطاً إلى القدرة على المعصية، فالملائكة ـ برأيهم ـ قادرون على المعصية كقدرتهم على الطاعة، لكنه لم يثبت وقوع المعصية منهم، وذهب بعض أهل العلم في عصرنا إلى القول بأن الملائكة معصومون من الخطيئة وليسوا معصومين من الخطأ، واستدل على ذلك بوجود وقائع لأناس ماتوا ثم عادوا إلى الحياة تارة أخرى بعد الموت، في إشارة إلى وقوع الخطأ منهم في قبض الأرواح، لكن ذلك لم يثبت لا نصاً ولا إشارة، بل النص ورد بخلافه وهو قوله سبحانه وتعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾.

الهوامش

(١) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي: ٣٨٠/٥؛ إصلاح المنطق، لابن السكيت: ص٥٩؛ جمهرة اللغة، ابن دريد: ٩٨١/٢؛ الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري: ٢٥٤/٢؛ لسان العرب، لابن منظور: ٤٩٦/١٠.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري: ٣٥٨/١؛ الكليات، الكفوي: ص٧٦٧.

(٣) ينظر: مطالع الأنظار شرح طوالع الأنوار، أبو الثناء الأصفهاني:ص٢١٢؛ شرح المقاصد، التفتازاني: ٣١٩/٣؛ دستور العلماء، الأحمد نكري: ١٠٥٤/٢؛ كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١١٩٤/٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي: ٣٨٥/٢.

(٥) المعتزلة: اسم يطلق على أول مدرسة كلامية واسعة ظهرت في الإسلام، نشأت في البصرة في نهاية المائة الأولى للهجرة، وضمت اتجاهات فكرية متعارضة، وهم أتباع واصل بن عطاء، كان تلميذاً للحسن البصري، وقد دخل عليه رجل فقال: يا إمام، لقد ظهر في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفرٌ يخرج بها

مرتكبها عن الملّة وهم الخوارج، وجماعة يُرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل يقرر ما أجاب به، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمّي هو وأصحابه بالمعتزلة، وهم الذين قالوا بنفي الصفات القديمة عن الله أصلاً، واتفقوا على نفي رؤية الله ـ تعالى ـ بالأبصار في دار القرار، واتفقوا على أن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، وغير ذلك. [ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ٥٧/١؛ دراسات في الفرق والعقائد،د. عرفان عبد الحميد: ص١٠٠و١٠١].

(٦) ينظر: مطالع الأنظار، أبو الثناء الأصفهاني: ص١٣٦.

(٧) مفاتيح الغيب: ٣٨٥/٢؛ وينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، حبنكة الميداني: ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٨) سورة هود: ١٨.

(٩) جامع البيان، الطبري: ٢٨٣/١٥.

(١٠) سورة الصافات: ٣.

(١١) البحر المحيط، أبو حيان: ٩٠/٩.

(١٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: ٢٧٣/١٦.

(١٣) سورة الصافات: ١٥٨.

(١٤) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي: ٥٥٥/٣؛ تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام: ٦٨/٣.

(١٥) سورة الأنعام: ٦١.

(١٦) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٢٨٨/٩.

(١٧)سورةق: ١٧، ١٨.

(١٨) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي: ٤٧٥/١.

(١٩) سورة غافر: من الآية ٧.

(٢٠) سورة الحاقة: الآية ١٧.

(٢١) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني: ٧/٥.

(٢٢) سورة الشعراء: ١٩٣.

(٢٣) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٦٤١/١٧.

(٢٤) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي: ٣٤٨/٣.

(٢٥) سورة الأنعام: ٦١.

(٢٦) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي: ١٧/٢، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: ٢٦٤/١، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢٣٩/٣.

(٢٧) ينظر: الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي: ص٢٥١.

(٢٨) سورة الصافات:٢.

(٢٩) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية: ٤٦٥/٤؛ زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٣٠) سورة العلق: ١٨.

(٣١) التحريم: من الآية ٦.

(٣٢) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني:٢٥٩/٦؛ معالم التنزيل، البغوي:٤٨١/٨؛ تفسير القرآن، العز بن عبد السلام:٤٧١/٣؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٩٦/١٨.

(٣٣) سورة النازعات: ٣.

(٣٤) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي: ٥١٩/٣؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: ٢٠٥/٧.

(٣٥) سورة النازعات: ٤.

(٣٦) سورة الواقعة: ١٠، ١١.

(٣٧) سورة الأنبياء: ٢٧.

(٣٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/٣١.

(٣٩) سورة عبس: ١٣ـ ١٦.

(٤٠) ينظر:تفسير ابن فورك، ابن فورك: ١٥١/٣.

(٤١) ينظر:الوسيط: ٤٢٣/٤.

(٤٢) الحديث رواه الترمذي في سننه وقال: هذا حديث حسن. [سنن الترمذي، أبو عيسى محمد ابن عيسى ابن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الزمر، بالرقم ٣٢٤٣: ٣٧٢/٥].

(٤٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٣٦٨/١١.

(٤٤) ينظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي: ٣٧٧/٢.

(٤٥) سورة الصافات: ١.

(٤٦) ينظر: تفسير القرآني، السمعاني: ٣٩١/٤.

(٤٧) سورة المرسلات: ٤.

(٤٨) ينظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.

(٤٩) سورة يونس: ٢١.

(٥٠) سورة الزخرف: ٨٠.

(٥١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢٢١/٧؛ فتح القدير، الشوكاني: ٥٦٦/٤؛ تفسير المراغي، أحمد المراغي: ١١٢/٢٥.

(٥٢) سورة عبس: ١٣- ١٦.

(٥٣) ينظر:جامع البيان، الطبري: ٣٦٦/٢٢؛ بحر العلوم، السمرقندي: ٥٢٥/٣؛ الدر المنثور، السيوطي: ٢٤٥/١٥.

(٥٤) سورة الحاقة: من الآية ١٧.

(٥٥) ينظر:أصول السنة، ابن أبي زمنين: ص٩١؛معالم التنزيل، البغوي: ١٣٩/٧؛ أنوار التنزيل: ٥٢/٥؛ حاشية الشهاب على البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي: ٢١٠/٨.

(٥٦) رواه أبو داود بإسناد جيد، سنن أبي دواد، أول كتاب السنة، باب في الجهمية، بالرقم (٤٧٢٧): ١٠٩/٧.

(٥٧) سورة النازعات: ٥.

(٥٨) ينظر: تفسير ابن فورك: ١٣٧/٣.

(٥٩) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٣١/٥.

(٦٠) سورة المرسلات: ١.

(٦١) ينظر: جامع البيان: ٥٨٢/٢٣.

(٦٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤١٦/٥.

(٦٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧٦٤/٣٠.

(٦٤) سورة الواقعة: ٧٩.

(٦٥) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي: ٢١٩/٩.

(٦٦) ينظر: الوسيط: ٢٣٩/٤.

(٦٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٠٠/٧.

(٦٨) سورة الرعد: ١١.

(٦٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٩٣/٩، ٢٩٧؛ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: ٤٠١/١.

(٧٠) سورة الذاريات: ٤.

(٧١) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٤٨٢/٢١؛ البحر المديد، ابن عجيبة: ٢٨٩/٧؛ روح المعاني، الآلوسي: ٢/٢٧.

(٧٢) سورة الصافات: ٨.

(٧٣) ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان: ٩٥/٣؛ الوسيط، الواحدي: ٥٢٢/٣؛ مدارك التنزيل، النسفي: ١٦/٤.

(٧٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٥١٤/٤.

(٧٥) سورة المرسلات: ٥.

(٧٦) ينظر: تفسير ابن فورك، ابن فورك: ١١٦/٣.

(٧٧) ينظر: الجواهر الحسان: ٥٣٧/٥.

(٧٨) سورة النازعات: ١.

(٧٩) بحر العلوم، السمرقندي: ٥٤١/٣.

(٨٠) ينظر: تفسير ابن فورك: ١٣٦/٣.

(٨١) سورة المرسلات: ٣.

(٨٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤١٧/٥.

(٨٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان: ٣٩٥/٨.

(٨٤) البحر المديد: ٣١٥/٨.

(٨٥) سورة النازعات: ٢.

(٨٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٣٠/٥.

(٨٧) ينظر: جامع البيان: ٦١/٢٤.

(٨٨) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٨٩) سورة الرحمن: ٢٦.

(٩٠) ينظر: بحر العلوم: ٢٦٩/١.

(٩١) مفاتيح الغيب: ٤٥٢/٩.

(٩٢) سورة الزمر: من الآية ٦٨.

(٩٣) ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان: ٤٨/١؛ جامع البيان، الطبري: ٩٠/١٠؛ روح المعاني، الآلوسي:٢٨٢/١٢.

(٩٤) ينظر: النكت والعيون: ١٣٥/٥.

(٩٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥٧٤/٢٤.

(٩٦) ينظر: جامع البيان، الإيجي: ٢٣٣/٣.

(٩٧) ينظر: فتح الباري: ٣٧٠/١١، ٣٧١.

(٩٨) المنهاج في شعب الإيمان: ٣٠٢/١.

(٩٩) ينظر: مجموع الفتاوى: ٣٤/١٦.

(١٠٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٥٦/٧.

(١٠١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي: ٣٨٢/١.

(١٠٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤١٦/١.

(١٠٣) لسان العرب، ابن منظور: ٤٠٣/١٢.

(١٠٤) التعريفات: ١٥٠.

(١٠٥) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: ٧٤.

(١٠٦) الكليات: ٦٤٥.

(١٠٧) ينظر: شرح المواقف: ٣٠٦/٨.

(١٠٨) ينظر: المختصر الكلامي: ٩٦٨.

(١٠٩) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي:٣٣٩/٧؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥٢/٢.

(١١٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢٦/٣.

(١١١) الدرة فيما يجب اعتقاده: ٣٣١.

(١١٢) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٣٩٧/٢، ٣٩٨.

(١١٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨٩/٢، ٣٩٣.

(١١٤) شرح المقاصد: ٣١٩/٣.

(١١٥) مختصر الاعتماد في الاعتقاد: ٢٠.

(١١٦) سورة الأنعام: من الآية ٦١.

(١١٧) مفاتيح الغيب: ١٦/١٣.

(١١٨) التفسير المظهري: ٢٤٨/٣.

(١١٩) أبكار الأفكار: ٢٢٤/٤.

(١٢٠) سورة النحل: الآية ٥٠.

(١٢١) ينظر: الأربعين في أصول الدين، الرازي: ١٢١/٢؛ عصمة الأنبياء، الرازي: ص٤٧؛ أبكار الأفكار، الآمدي: ٢٢١/٤؛ الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي: ص٢٥٣.

(١٢٢) الأنبياء: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(١٢٣) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٢٥١/١٦، ٢٥٣؛ بحر العلوم، السمرقندي: ٤٢٤/٢؛ لطائف الإشارات، القشيري: ٤٩٩/٢؛ مفاتيح الغيب،الرازي:٣٨٩/٢؛ شرح المقاصد، التفتازاني: ٦٩/٥.

(١٢٤) سورة الأنبياء: الآية٢٠.

(١٢٥) ينظر: أبكار الأفكار، الآمدي: ٢٢٠/٤؛ مفاتيح الغيب، الرازي: ٤٤١/٢؛ شرح المواقف، الإيجي: ٣٠٨/٨؛ الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي: ص٢٢٥.

(١٢٦) سورة فاطر: من الآية١.

(١٢٧) سورة الأنعام: من الآية١٢٤.

(١٢٨) ينظر: تأويلات أهل السنة،الماتريدي: ٤٦٦/٨؛ الأربعين في أصول الدين، الرازي؛ أنوار التنزيل، البيضاوي: ٢٢٧/٣؛ الحبائك، السيوطي: ص٢١٦.

(١٢٩) سورة البقرة: من الآية٣٠.

(١٣٠) ينظر: الدر المنثور: ١١٤/١، ١١٥.

(١٣١) ينظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ١٤٤/١.

(١٣٢) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٧٧/٢.

(١٣٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢٤٦/١.

(١٣٤) سورة البقرة: من الآية١٠٢.

(١٣٥) ينظر: الأربعين في أصول الدين، الرازي: ص١٢٧، ١٢٨؛ شرح المقاصد، التفتازاني: ٦٥/٥؛ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أ.د. محمد بن محمد أبو شهبة: ص٢٣١ ـ ٢٣٣.

(١٣٦) سورة الأنبياء: من الآية٢٩.

(١٣٧) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٣٩٣/٢.

(١٣٨) ينظر: الحبائك، السيوطي: ص٢٥٢.

(١٣٩) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣٣٦/٨.

(١٤٠) جامع البيان: ٢٥٤/١٦.

(١٤١) سورة الأحزاب: من الآية١.

(١٤٢) سورة الزمر: من الآية٦٥.

(١٤٣) تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى: ٥٧/١.